الكفاح في سجون الاستعمار الفرنسي بالجزائر:
نضال المجاهد إبراهيم رمضان بسجن بربروس أنموذجا

The Struggle in the Prisons of French Colonialism in Algeria : The Activism of Elmudjahid Ibrahim Ramdane in Barbaros Prison as a Model

أ.د. عبد المجيد رمضان*، جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)
ramdane.abdelmadjid@univ-ouargla.dz

تاريخ الاستلام: 2024/04/20 تاريخ القبول: 2024/05/27 تاريخ النشر: 2024/06/27

ملخص: يهدف هذا البحث إلى استكشاف النظام الذي وضعته جبهة التحرير الوطني خلال الفترة الاستعمارية والذي مكّنها من اختراق المنظومة الإدارية للسجون الفرنسية وتنظيمها وهيكلتها، ما ساهم في إبقاء التواصل قائما بين قيادة الثورة والمجاهدين المعتقلين داخل السجون. وشكلت لهذا الغرض لجانا داخل السجون يتولى تسيير شؤونها مجاهدون تلتمس فيهم الكفاءة والقدرة وحيازة نصيب من العلم. وتناول البحث كأنموذج لهذا النظام، المجاهد إبراهيم رمضان الذي كلفته قيادة الثورة بالتنظيم والتعليم داخل سجن بربروس باعتبار علمه وإرادته الثابتة في الصمود والمقاومة في وجه التحديات القاسية التي عاشها طيلة حياته النضالية. وقد أسهم هذا النظام المحكم الذي أقرته جبهة التحرير الوطني في تحفيز النضال واستمراره وتنمية المعرفة في أوساط السجناء.

كلمات مفتاحية: الاستعمار الفرنسي، الثورة التحريرية، جبهة التحرير الوطني، سجن بربروس، المجاهد إبراهيم رمضان.

*- المؤلف المرسل

Abstract:

This research aims to explore the system established by the National Liberation Front (FLN) during the colonial period, which enabled it to penetrate the administrative system of French prisons, organize and structure it, thereby maintaining communication between the revolution leadership and the imprisoned mujahideen. For this purpose, committees were formed inside the prisons, managed by mujahideen who were sought for their competence, capability, and possession of knowledge. The research focused, as a model of this system, on the mujahid Ibrahim Ramdane, who was tasked by the revolution leadership with organizing and educating inside Barbaros prison given his knowledge and unwavering determination to withstand and resist the harsh challenges he faced throughout his life of struggle.

This well-structured system endorsed by the National Liberation Front contributed to motivating and sustaining the struggle, as well as fostering knowledge development among the prisoners.

Keywords: French colonialism, Algerian War of Independence, National Liberation Front (FLN), Barbaros prison, mujahid Ibrahim Ramdane.

- **مقدمة**

شكّل الكفاح في سجون الاستعمار الفرنسي في الجزائر جزءًا أساسيًا من تاريخ الجزائر ونضالها من أجل نيل الاستقلال واستعادة الكرامة والسيادة، حيث تعرض الجزائريون الذين كانوا يناضلون ضد الاستعمار الفرنسي للاعتقال والسجن منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر في القرن التاسع عشر وحتى استقلالها في عام 1962. واجه حينها الشهداء والمجاهدون السجناء في مختلف سجون الاستعمار الفرنسي، ظروفاً قاسية وانتهاكات لأدنى حقوقهم الإنسانية، بما في ذلك التعذيب والمعاملة غير الإنسانية. رغم ذلك،

استمر النضال داخل السجون، حيث نظم السجناء أشكال مختلفة من الكفاح والمقاومة والتضامن، وسعوا إلى الحفاظ على هويتهم ومبادئهم وتعلقهم بالثورة والتحرير.

من بين الشخصيات التي برزت في هذا النضال المجاهد إبراهيم رمضان، الذي قاد رفاقه السجناء في الصراع ضد الظلم والاستعمار بتوجيه من قيادة جبهة التحرير الوطني. بفضل غزارة علمه وروحه المقاومة وتضحياته قبل وبعد اندلاع الثورة التحريرية. وفي سجن بربروس الرهيب في قلب قصبة العاصمة تحديدا، تحوّلت الزنزانات الباردة والقيود الحديدية إلى ساحة لنضال إبراهيم رمضان في فترة سجنه ما بين سنتي 1960 و1962، حيث استمر في نشر رسالته وتأكيد مبادئه وقيمه المقدّسة. رغم العزلة والقسوة، بقي قلبه ينبض بالأمل والعزيمة، ورفض أن يكون سجينًا للظلم والاستبداد.

ويشكل الكفاح الذي تبناه الجزائريون داخل سجون الاستعمار الفرنسي، قضية بحث تحتاج إلى مزيد من الدراسات لتوسيع النطاق البحثي حولها وتفحص دقيق لتفاصيلها وتحليل لتأثيراتها على مسار الثورة التحريرية ومآلاتها. وفي سياق محاولة فهم مظاهر وأبعاد مواصلة الكفاح داخل هذه السجون، ومعالم النضال التي اعتمدها المجاهد إبراهيم رمضان في سجن بربروس، نطرح الإشكالية التالية: **ما هو النهج الذي اعتمده المجاهد إبراهيم رمضان وفق تعليمات جبهة التحرير الوطني في تعزيز روح الكفاح لدى المجاهدين في سجن بربروس لمقاومة الاستعمار الفرنسي؟**

وتنبثق عن هذا التساؤل الرئيس، أسئلة فرعية على الشكل التالي:

- كيف نجحت جبهة التحرير الوطني في تحويل السجون إلى مدارس لنشر العلم والوعي السياسي؟
- ما هي العوامل التي ساهمت في بروز شخصية المجاهد إبراهيم رمضان كقائد في النضال؟
- لماذا رشحته قيادة جبهة التحرير الوطني للمشاركة في التسيير وتعليم السجناء في سجن بربروس؟
- ما هي القيم والمعارف التي نشرها المجاهد إبراهيم رمضان في أوساط رفقائه داخل سجن بربروس؟

وقبل الانغماس في الإجابة على هذه التساؤلات والاستكشاف الدقيق للتفاصيل والجوانب المختلفة للموضوع، لا غنى عن القول إن كتابة تاريخ الأحداث والشخصيات قد تكون تحديًا كبيرًا تواجه الباحث، لأن التاريخ ليس مجرد سرد لسلسلة من الأحداث والتواريخ، بل هو تفسير وتحليل لما حدث، وهذا يعني أنه يتطلب الوصول إلى مصادر موثوقة ودقيقة، وفهماً عميقاً للسياق التاريخي والثقافي والاجتماعي للفترة موضوع البحث. وقصد التغلب على هذه التحديات، تم الاعتماد على شهادات صوتية ومرئية محفوظة للمجاهد إبراهيم رمضان سجّلت في حياته قبل وفاته سنة 2002، وعلى مجموعة من الوثائق التاريخية الأصلية، وبعض التقارير التاريخية للمنظمة الوطنية للمجاهدين، فضلا عن دراسات أكاديمية تناولت أحداث الثورة التحريرية بسجن بربروس وبمنطقة غرداية والجنوب الجزائري عموما، إلى جانب كتاب

مرجعي نُشر سنة 2018، ألّفه نجل المجاهد الباحث مصطفى رمضان موسوم بعنوان "إبراهيم رمضان: رجل العلم والنضال".

1. نشأة إبراهيم رمضان ومسيرته العلمية والتعليمية والاجتماعية قبل الثورة

ولد إبراهيم رمضان في مدينة غرداية جنوب الجزائر، وبدأ تعليمه الأولي في مدينة غليزان، ثم انتقل لاستكمال دراساته العليا في القرارة. زاول التعليم بمدرسة الإصلاح، حيث كان له دور فعّال في مجلس إدارتها. وكان له نشاط إصلاحي واجتماعي مؤثر، وعُرف بمواقفه المعادية للاستعمار الفرنسي، ما عرّضه للاعتقال والسجن عدة مرات. لكن ذلك لم يثنِه عن نشاطه وتحركاته التي شكّلت له منطلقا للانخراط في الثورة التحريرية.

1.1. بداياته الأولى في الحياة ومساره العلمي

بصَر إبراهيم رمضان النّور سنة 1918، ونشأ تحت رعاية أبيه صالح وأمّه مُحَاطًا بعطف والديه. كان لأبيه محلّ تجاري في مدينة غليزان، ونقله إليها سنة 1923 وأدخله المدرسة القرآنية تلميذا لدى الشيخ أحمد بابا عمي. كانت مسيرة إبراهيم رمضان التعليمية في غليزان حافلة بالنشاط، ومن مواقف نجابته في صغره، أنه عند زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس لغليزان كي يتفقّد المسيرة الاصلاحية في الجزائر سنة 1932 [1]، شارك في مناظرة بين السيف والقلم، ومثّل دور السّيف، فنال دوره إعجاب الشيخ بن باديس وكافة الحاضرين.

زيادة على تعلّمه العربي ودراسته للقرآن الكريم، ألحقه أبوه بالمدرسة الأهلية الفرنسيّة ويصبح مثالا للنشاط في فصله والاعتناء التام بدروسه التي تفوّق فيها كذلك، فتُوّج بتحصيل علمي عربي جيّد وبنيل الشهادة الفرنسّية للتعليم الابتدائي. ثم يواصل تعليمه بالعهد التعليمي الحر بمدينة القرارة جنوب الجزائر، وكان من جملة أساتذته الشهيرين العالمين الشيخ بيوض إبراهيم والشيخ عدون، حيث درس عندهما مجموعة كبيرة وقيّمة من الكتب، وحفظ القرآن الكريم حفظا كاملا ومتقنا سنة 1935.

[1] . محمد بوسعدة، **دور مزاب في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة الجزائرية (1930 – 1962)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل م د) في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمة الأخضر، الوادي، 2020/2019، ص 211.

كان لجمعية "الشباب" التي أسّسها الشيخ عدون دورٌ كبيرٌ في نماء ثقافته مع زملائه في المعهد. في هذه الجمعية، يتبارى الطلبة على إلقاء الخطب ونظم الأشعار وإلقاء المحاضرات. وكانت هذه الجمعية هي النادي الأدبي والسياسي الذي يتبارى فيه الطلبة على الخطابة والمقالات السياسية والقصائد الوطنية التي تستنهض الهمم، كما كانت جريدة "الشباب" منبرًا أدبيا يتفانى فيه الطلبة على الكتابة بعد قراءتهم للمجلّات التي كانت تصلهم من مصر وتونس. ساهم فيها إبراهيم رمضان بكتابة مقالات أدبية واجتماعية وسياسية، كما أبدع في النادي الأدبي والسياسي بمناظرات وبخطب وإلقاء قصائد شعرية، وشارك في إعداد وتمثيل مسرحيات.

2.1. دوره في التربية والتعليم ونشاطه الإصلاحي

حَمَل إبراهيم رمضان مهمة التعليم في مدرسة الإصلاح بغرداية [2] سنة 1939. وقد وهبه الله مقدرة في فنّيات التعليم. وكان نهجه في تدريس مادّة التاريخ متميزا، يشهد له تلاميذه القدماء بذلك، يحرّك وجدانهم بهذه المادّة في تتبع حوادث التاريخ ويغمرهم حماسة في المواقف التي فيها نصرة الحق ومحق الباطل، فتزيدهم دروسه اهتماما وحسن إصغاء لا يملّون ولا يكلّون من السماع إليه بإنصات.

يذكر نجله مصطفى رمضان في كتابه، وكان تلميذه، أنّ "جلّ التلاميذ الذين تعلّموا عند إبراهيم رمضان كانوا متأثرين بأسلوبه الأخاذ والمرِح في تعليمه لمادة التاريخ ولمادّتي النحو والصرف بالأمثلة التوضيحية التي يبسّط بها بعض القواعد (...) فهو مؤثر بشخصيته، ورغم بشاشته ومَرَحِه مع التلاميذ كانوا لا يسيئون الأدب معه بل يحترمونه احترامًا كبيرا يتشوّقون للقائه ويتحدّثون معه كأنّه صاحبهم". [3]

وفي إطار نشاطه التعليمي كذلك، كان إبراهيم رمضان سنة 1945 ضمن لجنة عملت على توحيد برامج التعليم في منطقة مزاب، جمعت بعض المعلمين البارزين في المنطقة. وكانت من نتائج أعمال جلسات هذه

[2] . نشأت جمعية الإصلاح بغرداية عام 1346هـ/ 14 أفريل 1928م، ووافقت السلطة الفرنسية عليها في 24 ديسمبر 1928 بعد مكابدة طويلة، وكان أوّل رئيس لها الشّيخ صالح بابكر، ثم أسّست مدرسة الإصلاح عام 1932، وانطلقت الدراسة بها في شهر نوفمبر من ذات العام تحت تأطير نخبة من المشايخ والأساتذة، ولا زالت الجمعية تواصل جهدها في التعليم إلى اليوم.

[3] . مصطفى رمضان، **إبراهيم رمضان: رجل العلم والنضال**، دار نزهة الألباب للنشر والتوزيع، غرداية (الجزائر)، 2018، ص 67.

اللجنة وضع قانون أساسي لوحدة التعليم المتضمّن برنامجا كاملا لمدرسة ابتدائية، واستصدار لائحة داخلية.[4]

في تلك الفترة، كانت قضية تعليم البنات تعتبر من المسائل الحساسة والمستعصية، حيث كانت العوائق كثيرة أمام تحقيق التقدم في هذا المجال. ومن خلال الجهود المبذولة من قبل إبراهيم رمضان وبقية أعضاء جمعية الإصلاح سنة 1948، بدأت عملية استقطاب أولياء الأمور للمشاركة في النقاش حول أهمية تعليم البنات والسبل لتحقيق ذلك. فانطلقت العملية فعليا يوم 10 ديسمبر 1950.[5]

بعد فترة من التعليم في مدرسة الإصلاح، اقترحته الجمعية للمشاركة في انتخابات المجلس الإداري وعيّنه المجلس كاتبا عامًّا لها قبل عام 1945. وصادق أعضاء المجلس الإداري لجمعية الإصلاح على كثير من الأعمال والقرارات المهمة خلال عشرية الأربعينات من القرن العشرين في سبيل ترقية المجتمع. من بين هذه القرارات إشراك العشائر في الذود عن مصالح البلد في مواجهة الاستعمار الفرنسي.

كان من مقاصد إبراهيم رمضان أن يجعل للعشيرة دورًا هامًّا في إصلاح المجتمع، فأوعز إلى بعض رجال الإصلاح من كل عشيرة للتفكير في هذا الموضوع وكان قدوة في هذه التوعية فأصبح مجلس عشيرته "آل بلحاج" مثالا للنشاط. ولم يكتف إبراهيم رمضان بنشاط عشيرته، بل كوّن هيئة رسمية من أعضاء العشائر، ليستشعر الناس بقوّة الجمعية وجرأتها وعزمها في تغيير أوضاع البلد كإبطال بعض العادات المضرّة وإصدار بعض الأحكام الصارمة التي تصحّح الاعوجاج. وأصبح إبراهيم رمضان الناطق الرسمي لهذه الهيئة في الأعراس والمحافل يدعو إلى إصلاح الأوضاع الاجتماعية، حتّى ووشي به لدى السلطات الفرنسية بتهمة التشويش، فعنّفه الحاكم وأدخله السجن. وبعد إطلاق سراحه، منعته الإدارة الفرنسية من إلقاء المزيد من الدروس في مدرسة الإصلاح والتي كان يلقيها للمواطنين ليلة السبت من كل أسبوع، وذلك لإدراكها مدى أهمية خطبه في توعية أفراد المجتمع وتحسيسهم بخطورة ممارسات الاستعمار الفرنسي.[6]

---

[4] . للاطلاع على أعمال هذه اللجنة، ينظر: بكلي عبد الرحمان، **مسيرة الإصلاح في جيل 1918-1948**، ط2، مكتبة البكري، غرداية (الجزائر)، 2004.

[5] . يوسف بن بكير الحاج سعيد، **تاريخ بني مزاب: دراسة اجتماعية و اقتصادية وسياسية**، ط2، المطبعة العربية، غرداية (الجزائر)، 2006، ص 279.

[6] . مصطفى رمضان، مرجع سابق، ص 51.

وقد تم انتداب إبراهيم رمضان مرشدا عاما من الهيئة العليا للإصلاح، يوم 4 أفريل 1951م، تبعا لقدراته ومؤهلاته، حيث ظهرت شخصيته ظهورا قويًّا في ميدان الإصلاح، فاشتهر بالفصاحة والبراعة في الوعظ والإرشاد. متمكن من الخطابة، يستحضر الشواهد بقوة، ويمتاز بالحافظة الجيدة، فآيات القرآن العظيم تتسابق إلى لسانه في مقامات وعظه كلها، ويؤيد قوله بكثرة ما يحفظ من الأدب العربي الفصيح شعرا ونثرا وقصصا. وغالبا ما يعزم على الكلام في المحافل فلا يهيئ شيئا مكتوبا، يستلهم الظروف ويستغل الأحداث الطارئة فتنساب المعاني في نفسه انسيابا.

وكانت من بين إسهاماته الاجتماعية الأخرى، انتخابه بالاقتراع السري شهر ديسمبر 1948، رئيسا لأول مجلس إداري لجمعية قدماء الطلبة المتخرجين من معهد الشيخ بيوض بالقرارة فرع غرداية (**الوثيقة – الملحق 1**).

وكانت هذه الجمعية من ثمرات العقول في حقل الإصلاح، وكان من بين أهدافها توعية التلاميذ دينيا وسياسيا واجتماعيا. فكان لهذا الهدف أثره الملحوظ في النضوج الفكري والوعي السياسي والتكوين الأدبي، وفك الخناق الذي فرضه الاستعمار الفرنسي على التعليم العربي الإسلامي.

كما كان لهذه الجمعية الأثر البالغ في مرافقة أعضاء التدريس بمختلف مدارس الإصلاح في الجنوب وفي الشمال في انتقاء الكتب المناسبة للتدريس والمطالعة واصطفاء الأناشيد الوطنية والأخلاقية، وما إلى ذلك حسب مراحل سنوات التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي. وما لم يتوفر من الكتب المقررة مطبوعا، يُنتدب في الجمعية من يقوم بتأليفه، فأزال هذا الإجراء كثيرا من العقبات التي تعترض المعلمين أثناء السنوات الدراسية. وأتاحت جمعية قدماء الطلبة من خلال هذه المؤلفات من تمكين التلاميذ على قدرة التفكير والملاحظة والمناقشة الوجيهة والنقد النزيه. كما كانت أقوى حافز للتلاميذ والطلبة على تدبيج الخطب وتحبير المقالات وقرض الشعر وصوغ الأناشيد الوطنية لتأريث أحاسيس الشعب بالحياة الكريمة.[7]

ويعد إبراهيم رمضان من أوائل المؤسسين للحركة الكشفية في الجنوب الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية، حيث انتخب عضوا في مجلسها الإداري يوم الأحد 22 رمضان 1347 هجري الموافق لـ 15

[7]. حمو محمد عيسى النوري، **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، المجلد الأول، دار البعث، قسنطينة (الجزائر)، 1982، ص 393.

ماي 1955 ميلادي إثر انعقاد الجلسة التأسيسية بحضور نحو ثلاثين من المناضلين (**الوثيقة – الملحق 2**).

إضافة إلى مهامه التعليمية والإدارية في جمعية الإصلاح، كانت للأستاذ إبراهيم رمضان نزعة قوية نحو التكوين النضالي والتوعية الاجتماعية، حيث فكر مع ثلّة من أصحابه في تكوين مؤسّسة سرية تتدارس في قضايا اجتماعية وسياسية لتغيير بعض الأوضاع الراكدة وإثارة النخوة الوطنية في النفوس في مواجهة سياسات الاستعمار الفرنسي التي تستهدف تدمير الإنسان وتقويض هويته الدينية والاجتماعية. وفي أواخر شهر رمضان الموافق لشهر سبتمبر 1945، تأسّست المنظمة من بعض أعضاء الإصلاح، وسميّت هذه المنظمة " الجندي المجهول "، والمقصود بها أن تُقرّر بعض القضايا جماعيا، وتُنسب إلى جندي مجهول. وقع الانتخاب، فأسندت الرئاسة إلى رمضان إبراهيم، وكان علي الناصري أمينا للمال، وملال عمر كاتبا (**الوثيقة – الملحق 3**).

لقد كان إبراهيم رمضان العصب الحسّاس لهذه المنظمة التي عمل من أجل أن يخرج منها جيل قوي مؤمن تشيع في جنباته روح التضحية. وكان بروحه الوطنية وإرادته الحاسمة في التغيير، مركز دفق للأفكار الملهمة لتغيير الفساد وإشعاع الإصلاح الاجتماعي وتكوين النهضة السياسية. ودام نشاط المنظمة في السر من سنة 1945 إلى 1956، إلى أن وصل خبرها إلى الإدارة الفرنسية، فسجنت إبراهيم رمضان شهرا كاملا ومنعته من السفر من غردايـة، فكانت مواقفه النضالية مستمرّة رغم الاعتقالات المتتالية التي تعرّض لها. [8]

2. مشاركة إبراهيم رمضان في حركة التحرير الوطني

اقتصر النشاط الثوري المسلح في المناطق الصحراوية في البداية على الإمداد المادي والمعنوي للمناطق الشمالية كجمع الأسلحة والمؤن والاشتراكات المالية وإرسالها إلى هناك بسبب صعوبات العمل العسكري في

[8]. لمزيد من التفاصيل حول نشاط وأعمال منظمة "الجندي المجهول"، يوصى بالرجوع إلى: مصطفى رمضان، مرجع سابق، من ص 121 إلى ص 154.

المناطق الصحراوية القاحلة. أصبحت الناحية شبه معزولة وبقيت الوسيلة الوحيدة لتلقي الأخبار هي الإذاعة والصحف بحيث أصبحت الاتصالات مقطوعة بالكامل مع قيادة الثورة، [9]

ذلك ما دفع قيادة الثورة إلى استدراك الوضع وتنتبه لحجم خطورة ترك الصحراء من البداية بدون هيكلة عسكرية كباقي المناطق الأخرى من الوطن، حيث أنشأ مؤتمر الصومام لمنطقة الصحراء ولاية سادسة قائمة بذاتها.[10]

1.2. ظروف انخراطه في العمل الثوري واعتقاله

بعد اندلاع الثورة التحريرية، كانت السلطات الاستعمارية ترى في إبراهيم رمضان خطرًا على استقرارها وسيطرتها، فكان يتعرض للاضطهاد والمضايقات المستمرة، ولكنه لم يتخلى عن مبادئه وقيمه. بل استمر في نضاله من أجل الحرية والكرامة الوطنية، مما جعله رمزًا للصمود والإرادة في وجه الاستعمار والقمع. وكان محلّ مراقبة دائمة من طرف السّلطات الاستعمارية التي كانت تتلقّى تقارير حول تحرّكاته ونشاطاته. من بين تلك التّقارير التي تحصل عليها الباحث: رسالة وجّهها الباشاغا إلى الإدارة الاستعمارية بتاريخ 17 جويلية 1956، تتضمّن معلومات حول مهامّ وأنشطة إبراهيم رمضان، وذلك ردّا على استفسار من السلطة الاستعمارية (**الوثيقة – المحلق 4**).

في تلك الظروف، بدأ إبراهيم رمضان يخطّط للعمل الثوري مع زملائه في جمعية الإصلاح منهم علي الناصري وصالح بابكر، وأقاموا اتصالات بالشيخ محمد بن عمر بوحميدة الذي وقف بدوره في وجه الإدارة الفرنسية وحركة التنصير بالمنطقة. [11]

---

[9] . بكار دهمة، **النشاط الثوري في ناحية غرداية في مواجهة الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1956-1962)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة غرداية (الجزائر)، 2020/2019، ص 78.

[10] . يحي بوعزيز، **ثورات القرن العشرين**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 180.

[11] . أحمد أولاد سعيد، "الأستاذ محمد بن عمر بوحميدة وجهوده الوطنية: رسالته من براقي إلى أهل غرداية أنموذجا"، **المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية**، المجلد 03، العدد 06، ديسمبر 2017، ص ص 242 – 257.

وكانوا يلتقون في الكثير من الآراء الإصلاحية المتعلّقة بأساليب ممارسة الثورة، اتفقوا على قضيّة تحرير البلاد من الاستعمار واتفقوا على الأهداف والغايات، وملخّصها الوحدة بين جميع الفئات الساكنة بغرداية من إباضية ومالكية، لتحقيق مشاركة الأمة الجزائرية في تقرير مصيرها.

تأسّست في عام 1956 تشكيلة جهاد في غرداية تابعة لجيش المجاهد زيان عاشور. وقبل اندلاع الثورة المسلّحة كلّفه الشهيد مصطفى بن بولعيد بالإشراف على المنطقة الصحراوية فكوّن خلايا ثورية من بينها الخلية الثورية التي كان مسؤولها السياسي محمد بن عمر بوحميدة. ففي هذه الخلية الثورية كان إبراهيم رمضان ينشط مع زملائه في جمعية الإصلاح. ولقد تمكّنت هذه الخلية من توعية المواطنين لاحتضان الثورة المسلّحة ودعمها معنويا وتهيئة المراكز الاستراتيجية لتمركز الجيش.

عملت هذه المراكز بالتنسيق مع التنظيم الثوري للشيخ زيان عاشور، لكن واجه هذا التنظيم مشاكل داخلية بسبب تداخل الصلاحيات، وفي أعقاب إضراب الثمانية أيام سنة 1957، تمكّن العدوّ من التدخل واعتقال الكثير من رؤساء الخلايا الثورية في منطقة القرارة وغرداية، فتمّ القبض في شهر جانفي 1957 على الشيخ محمد بن عمر بوحميدة الذي لقي بالسجن صنوف التعذيب،[12] فقُبض على الناصر علي بن عمر، وبابكر صالح بن قاسم، ورمضان إبراهيم بن صالح، ونُقل الثلاثة إلى سجن الأغواط ومكثوا فيه ستة أشهر من فيفري 1957 إلى جويلية من نفس السنة.

2.2. عودته إلى النشاط الثوري

بعد إطلاق سراحه في صائفة 1957، سعى إبراهيم رمضان إلى الاتصال مجدّدا بمسؤولي الثورة في المنطقة وهو دائم التوثّب إلى الأمام، له قدرة فائقة على تحدّي الصعاب والعراقيل الموضوعة في طريقه. فبدأ يحشد الوسائل المختلفة للتعاون مع رجال ثوريين يخضعون لنظام صارم تجمعهم حماسة شديدة، فالفاعليّة لديهم تتحدّى الحواجز. فتشكّلت فعلا في عام 1958 منطقة هيكيلية تنظيمية للثورة بالناحية، قاعدتها المجالس الثورية التابعة للقسمة 59، الناحية الثالثة، المنطقة الثالثة من الولاية السادسة، تمّ إثرها تنصيب المجلس البلدي للثورة بوسط مدينة غرداية من طرف العريف الأول السياسي للثورة الزوبير الزبيري. يتشكل هذا المجلس من خمسة أعضاء، وفق مواثيق مؤتمر الصومام. وعيّنت قيادة الثورة المجاهد إبراهيم رمضان رئيسا له، إضافة إلى:

[12] . نفسه، ص ص 242 – 257.

- المجاهد إبراهيم دادي واعمر (مسؤول مكتب المالية) وهو رفيق درب إبراهيم رمضان في التعليم بمدرسة الإصلاح،
- المجاهد محمّد رمضان (مسؤول المكتب التجاري)، ألقي عليه القبض بعد معركة "قصر مليكة" بنواحي غرداية في السادس أكتوبر 1961، وظل سجينا إلى غاية وقف إطلاق النار.
- المجاهد يحي حوّاش (مسؤول مكتب الإصلاحات)،
- المجاهد حمو حجّاج (مسؤول الشرطة)،

عندما سُجن إبراهيم رمضان وإبراهيم دادي وعمر سنة 1960، كما سيأتي، خلفهما المجاهدان: عبونة عيسى وبابكر حمو، وأسندت رئاسة المجلس حينها للمجاهد حمو حجاج إلى غاية الاستقلال.

ويجب التنويه إلى أن المجالس البلدية للثورة تعمل، وفق قرارات مؤتمر الصومام، تحت أوامر العريف الأول السياسي الذي ينصبها وينشطها ويراقبها ويوجهها باستمرار، وكل عضو له مهام خاصة به.[13] وكان التواصل قائما بين العريف الأول السياسي (سي الزوبير) مع هذا المجلس، حيث رصد الباحث عدة مراسلات بين الطرفين لا تزال محفوظة إلى اليوم لدى بعض عائلات هؤلاء المجاهدين (**الوثيقة – الملحق 5**).

ويعتبر المجلس البلدي للثورة أحد الهيئات الهامة التي نشأت خلال فترة الثورة التحريرية من أجل تنظيم الشؤون المحلية في القرى والمدن وتوجيه الجهود نحو دعم الحركة الثورية ومواجهة الاحتلال الفرنسي. ويعد كذلك مسؤولا أمام الهياكل العمودية كمجلس القسمة والناحية والمنطقة والولاية. ويتم اختيار أعضائه بالمشورة وباعتبار مكانة الشخص اجتماعيا وسلوكيا وأخلاقيا.[14]

3.2. المعركة التي أسفرت عن اعتقاله الأخير قبل الاستقلال

لقد كان العمل العسكري لجيش التحرير الوطني في أرجاء ونواحي غرداية ردا على دعايات الاستعمار وضربا لمصالحه ومصالح المتعاونين معه، وتأكيدا كذلك للرأي العام بأن الثورة متمكنة بالمنطقة وأن

---

[13] . الأمانة الولائية للمنظمة الوطنية للمجاهدين لولاية غرداية، **تقرير حول التنظيمات القاعدية للثورة التحريرية بولاية غرداية**، المقدم في ملتقى الولاية السادسة التاريخية المنعقد بغرداية، أيام 1و2و3 ديسمبر 1993، ص ص 3-11.

[14] . الهادي درواز، **الولاية السادسة التاريخية: تنظيم ووقائع (1954 – 1962)**، دار هومة، الجزائر، 2009، ص ص 62 – 64.

الصحراء جزء لا يتجزأ من الوطن الجزائري. وأكدت لفرنسا، الضربات المتوالية لجيش التحرير، أن سكان ولاية غرداية والصحراء عامة لا يبغون عن الاستقلال التام والشامل بديلا رغم كل محاولات الفصل، فكانت المعارك والاشتباكات والكمائن والهجومات والعمليات الفدائية والحصارات التي جرت في الفترة ما بين أواخر سنة 1958 وسنة 1962 دليلا كبيرا على ذلك.

بلغ عدد العمليات العسكرية لجيش التحرير ضد العدو الفرنسي خلال الثورة التحريرية، في الناحية الثالثة التي تضم غرداية وتمنراست: 28 معركة و24 اشتباكا و11 كمينا و11 هجوما و90 عميلة فدائية، وخضعت الناحية لـ 141 حصارا من أشهرها الحصار الذي تعرضت له مدينة القرارة بكاملها منذ يوم 28 أكتوبر 1961 لمدة ثلاثة أيام.[15]

ولقد كان إمداد الجيش بكل ما تجمعه المجالس البلدية للثورة عملية شاقة نظرًا للظروف الطبيعية القاسية في الصحراء، مع العلم أنّ وسائل المواصلات كانت غالبيتها بواسطة الجمال والبغال والحمير، وإن مرحلة الوصول إلى الواجهة المطلوبة تتطلب قطع مسافات طويلة عبر طرق صحراوية عارية من الأشجار وتحت رقابة أسراب من الطائرات والرقابة المفاجئة. وهذه المهمة تحتاج إلى رجال لهم معرفة بالأرض ويقظة مستمرة.

في معركة البسباسة، وعند قدوم الجنود مع قائدهم من الجبال كل شهر يعقدون جلسات مع المجلس البلدي الثوري للاطلاع على الأخبار وتقديم التعليمات الصادرة من القيادة ثم يجمعون ما جُمع لهم من نقود وألبسة ومؤونة ثم يستعدّون للرحيل ليلا قبل الصباح الباكر.

ففي مستهل سنة 1960، استعد أعضاء المجلس البلدي الثوري لجمع كل ما جهزوه من مؤونة وألبسة وقشاشيب وأسلحة ووضعوها عند غابة إبراهيم دادي وعمر بأحباس وفي دهليز بغابة إبراهيم رمضان بناحية بوشمجان. وقبل الفجر عبّأ الجنود جمالهم وبغالهم وحميرهم بكل ما جُمع لهم، سالكين طريق واد مزاب عبر لالّا منصورة وحمو والحاج.

وبعد خروجهم من الضاية عند منطقة البسباسة، باغتتهم دورية تفتيشية للجيش الاستعماري، ما أدى إلى نشوب معركة طاحنة بين المجاهدين والجيش الاستعماري المدجّج بالسيارات والطائرات المحلّقة فوقهم، وفي صحراء قاحلة. وكانت هذه المعركة بقيادة العريف الأوّل السياسي عيسى عميّر وجنوده، وهم: الزقاي

---

[15] . الأمانة الولائية للمنظمة الوطنية للمجاهدين لولاية غرداية، **تقرير حول التنظيمات القاعدية للثورة التحريرية بولاية غرداية**، مرجع سابق، ص 13.

عبد القادر، وغراسلية سليمان، وابن لمباصي محمد، وقويدر الطيب، ولصقع محمد، وغراسلية عبد القادر، والنوي عبد القادر، وبوشنقة بوعمامة، وبحوص قدّيسي، ولشهب معمّر، ولشهب سالم، والشّحمة الأخضر.[16]

في هذه المعركة قتل عدد من المجاهدين كعيسى عمير وأسِر البعض الآخر. وللمباغتة التي فوجئ بها المجاهدون، لم يتمكّنوا من حرق جميع الوثائق التي يحملونها معهم. فمن بين ما وجد العدو وثيقة مذكور فيها الاسمان الثوريان "مخلص" و"صادق" اللذان يطلقان على ابراهيم دادي واعمر وإبراهيم رمضان توالياً. هذه الوثيقة التي عثر عليها العدو عند التفتيش على بقايا ما خلّفه جيش التحرير بعد انتهاء المعركة، هي التي كانت السبب لاكتشاف إبراهيم دادي واعمر وإبراهيم رمضان وتم على إثرها القبض عليهما.

3. دخوله سجن بربروس ونشاطه الثوري المستمر

في السياق التاريخي، الأشخاص الذين يقدمون أنفسهم فداءً للوطن ضد الاستعمار يواجهون مختلف المضايقات والمتابعات والاعتقالات والتعذيب والسجن؛ على نهج هذه التضحية والفداء للوطن، إعتاد إبراهيم رمضان على حياة السجون، فمنذ عهد الحركة الإصلاحية في الأربعينات وأوائل الخمسينات من القرن العشرين كان يُعتقل من حين لآخر، حتى دخوله الأخير إلى سجن بربروس الذي اتخذه معقلا لمواصلة نشاطه الثوري والتعليمي.

1.3. التنظيم الثوري لجبهة التحرير الوطني بسجن بربروس

بعد تمام الاستنطاق والتعذيب في غرداية والأغواط، نُقل إبراهيم رمضان إلى سجن البليدة وكان من رفقائه في السجن كهول وشباب من مناطق غرداية والمنيعة والأغواط، منهم رفيقه في مجلس الثورة إبراهيم دادي واعمر، ومتياز الحاج من قصر بني يسجن، والداودي محمد الصغير من قصر بنورة.

خضع المجاهد إبراهيم رمضان للمحاكمة مع مجموعة من رفقائه المجاهدين بالمحكمة الدائمة للقوّات المسلّحة الفرنسية التابعة لمنطقة الشمال الجزائري، وذلك يوم 10 جويلية 1961، وأصدرت أحكاما متفاوتة بالسجن عدة سنوات وغرامات مالية بتهم المساس بسلامة التراب الوطني والمشاركة خلال أعوام

[16] . الأمانة الولائية للمنظمة الوطنية للمجاهدين لولاية غرداية، **تقرير حول أحداث الثورة التحريرية بولاية غرداية للفترة ما بين 1959 و1962**، الندوة الولائية الثالثة، 09 أكتوبر 1986، ص ص 59-72.

1958، 1959، 1960 في الثورة (حركة التمرد) حسب نص (**الوثيقة – الملحق 6**)، وبتقديم معلومات وأسلحة ومؤونة للمجاهدين (المتمردين)، كما تسميهم ذات الوثيقة.

يعتبر سجن بربروس الواقع بأعالي القصبة بالجزائر العاصمة، شاهدا على جرائم فرنسا الاستعمارية، وقد تم بناؤه عام 1856 على أنقاض حصن تركي شيده القائد البحري العثماني خير الدين بربروس سنة 1565. حرص الاستعمار على أن يُثير اسم "بربروس" الرعب في نفوس الجزائريين عموما والثوار خصوصا، فهو عنوان للتعذيب النفسي والبدني الذي سلطته القوة الاستعمارية على المجاهدين. [17]

لكنّ معاناة المساجين وراء القضبان صقَلت رجال الثورة وزادت من إصرارهم على المضي في الكفاح حتى الاستقلال. في هذا السجن، نفذت فرنسا أولى عمليات الإعدام بالمقصلة في حق الشهيد أحمد زبانة، وفيه أيضا كتب شاعر الثورة مفدي زكريا من زنزانته رقم 69 أروع قصائد المقاومة ومنها النشيد الوطني "قسما". في ذات السياق، كان الشهداء والمجاهدون كانوا يعتبرون السجن معقلا لمواصلة الكفاح والمواجهة، على الرغم من الإجراءات الصارمة التي وضعتها الإدارة الاستعمارية لقمع الروح الوطنية لديهم.

وقصد دعم هؤلاء المجاهدين في مواقع اعتقالاتهم نفسيا ومعنويا وعدم قطع اتصال الثورة بهم، تمكنت قيادة جبهة التحرير الوطني من اختراق المنظومة الإدارية للسجون الفرنسية وتنظيمها وهيكلتها، وفق تنظيم هرمي تصاعدي يتميز بالسرية التامة بين مختلف مستوياته. وعملت هذه القيادة على تفعيل هذا النظام داخل السجون عن طريق تأسيس خلايا نظامية تتصل مع نظام الجبهة خارج السجون، وكان المناضلون في أول الأمر يركزون على تقوية الروابط الأخوية بين المساجين السياسيين ومساجين الحق العام.[18]

ويتم تفعيل هذا النظام عن طريق تكوين لجنة تسيرّ السجن، تُكلّف بتعيين قائد للسجن ولجان متخصصة متكونة من بعض الشخصيات البارزة على مستوى الغرف، مهمتها: اليقظة الدائمة، والتحقيق

---

[17] . وأج. سجن سركاجي بالعاصمة: معلم تاريخي شاهد على جرائم الاستعمار الفرنسي. نشر يوم الأحد 21 جوان 2020، متاح على الرابط: https://www.aps.dz/ar/regions/88550-2020-06-21-14-26-43

[18] . أحسن بومالي، **أدوات التجنيد والتعبئة الجماهرية أثناء الثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962)**، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص 382.

في أمر كل سجين خوفا واحتياطا من مكائد الاستعمار، كما كانت هناك لجان للطاعة مهمتها تأديب كل من يتمرد على النظام الداخلي.[19]

وحرصت جبهة التحرير على تنصيب لجنة التعليم في كل سجن من سجون الاستعمار، يتولى تنشيطها المعتقلون الذين لهم نصيبٌ من العلم، وحفظ من القرآن، وإدراك بقواعد الفقه الإسلامي، وإلمام باللغة العربية وأيضا باللغة الفرنسية، ومعرفة بالتاريخ. وكان أغلب المعتقلين آنذاك لا يحسنون لا القراءة ولا الكتابة بسبب سياسات التجهيل التي فرضها الاستعمار على الشعب الجزائري خصوصا في الأرياف والجبال. وقد مكّنت لجان التعليم التي أقرتها جبهة التحرير الوطني المجاهدين الأميين في السجون باكتساب مستويات دراسية مقبولة أهلتهم لخوض الحياة دون متاعب بعد الاستقلال.

وكانت هذه الحياة الثقافية والعلمية داخل السجون، استمرار للنضال والكفاح؛ فكل مثقف حاز درجة من العلم والمعرفة لا يستكين للنوم، ولا يستميل للراحة، فقد كان يتعين عليه تنظيم المعتقلين بحسب مستوياتهم، ومن ثمة الشروع في التكوين. وهكذا تجند الكل، فالأطباء والصيادلة لإلقاء محاضرات في الطب والإسعافات الأولية، والسياسيون لترجمة جميع الصحف التي تدخل السجن، والمعلمون لتقديم الدروس والتوجيه الديني، فكان أن صارت السجون مؤسسات ثقافية.[20]

2.3. نضال إبراهيم رمضان في سجن بربروس

عندما اكتشفت قيادة جبهة التحرير الوطني من خلال السجناء القدماء بسجن بربروس أمثال مصطفى فتال وزرزور روح الحماسة لدى إبراهيم رمضان، عيَّنوه معهم في اللجنة المسيِّرة لنظام السجن، إضافة إلى إسهاماته في لجنة التعليم بشرح قواعد اللغة العربية وقراءة ما تيسر له من صحف وكتب، فقام بدور ريادي في التنظيم وفي رفع معنويات الشباب الفدائيين المعتقلين يعلِّمهم الوضوء والصلاة ويدربهم على الأناشيد الوطنية، فعندما يُشعَرون بتنفيذ حكم الإعدام على أحد رفقائهم في السجن يقومون باكرا بصيحات الله أكبر، ويُنشدون جماعيا نشيد الشهداء.

---

[19] . عبد الكريم بوالصفصاف، **حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف (1954-1962)**، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، (د.ت،ن)، ص 149.

[20] . محمد الطاهر عزوي، "دور ضباط الشؤون الأهلية في الحرب النفسية داخل المعتقلات أثناء الثورة التحريرية الكبرى"، **مجلة أول نوفمبر**، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، العددان 88 – 89، جانفي – فيفري 1988، ص 37.

وفي لقاء جمعهم بأبناء المجاهد إبراهيم رمضان في الجزائر العاصمة، قال المجاهد الزبير بوثلجة أحد سجناء بربروس، أُدخلَ السجن من أجل عملية فدائية، وكان عمره حينئذ 17 عاما، حُكم عليه بعشرين سنة سجنا نافذًا: «كان المجاهد إبراهيم رمضان نِعمَ المُشجِّع لنا في أوقات الضيق يُحَفِّزُ هِمَمَنا ويُعَلّمنا الصلاة ويُمنِّينا بالاستقلال ... نتشوَّق اللقاء معه فرادى وجماعات».

كما صرح المجاهد بوعلام شريفي في ذات اللقاء: «عندما دَخلَ الحاج إبراهيم رمضان في ربوعنا نَهضَ بمعنويات المساجين فأشاع في قلوبنا التقوى بعد أنْ كان البعض منا يلهو بأحاديث مختلفة، جاء رحمه الله ونهض بنا إلى النَّباهة فأصبحنا نتذاكر وأصبح يُلقي علينا دروسا وأصبحَ مُعلِّمَنا وإمامَنا وخطيبَنا في كل أزمة كانت تنتابنا في السجن...لقد كان صامدا وقَضينا معه ما كتب الله لنا من السجن بصبر جميل. وكان من حظِّ البعض أن يطول بهم السجن حتى يستفيدوا منه ويتمتعوا بما كان يرويه لنا من علم وأدب وما كان يبثُّه من أخلاق عالية، أصبحنا نشعُرُ معه وكأنَّنا في عائلة واحدة».

ويقول المجاهد زرزور: «كان رمزًا للحيوية والنشاط وسط زملائه المساجين يعلِّم أُميّيهم ويُدرِّس متعلميهم يُحَفِّظهم القرآن ويعلِّم الصلاة للغافلين عن أداء هذا الركن، كان المجاهدون يشهدون عليه أنه كان في الشدائد ضاحكا وبالمستعمر هازئا ولمستقبل الجزائر آملا خيرا ومتفائلا، وبربه في كل الأمور متوكلا».[21]

ولقد طالب المساجين عدَّة مرات بحقوقهم السياسية بإضرابات ومظاهرات. وعندما بدأ الانفراج يتحقق شيئا فشيئا، بدأ تنظيم الدروس بأسلوب منهجي مشوِّق وكان إبراهيم رمضان نِعمَ المعلِّم.

عند الحديث مع رفقائه المساجين وإلقائه الدروس كان يستشهد كثيرا بآيات الذكر الحكيم والأحاديث النبوية الشريفة، وكان حَفَّاظة للشعر العربي الحكيم.

كان إبراهيم رمضان موهوبا في فن المسرح، منذ أن كان طالبا، وتفرَّس فيه أكثر في عهد الإصلاح. فقد جعل المسرح منبرا تربويا يدعو به إلى الخير والمُثُل العليا والأخلاق الرفيعة، وكوّن في السجن فرقة من الشباب والكهول في التمثيل المسرحي قدَّمت عدَّة مسرحيات هادفة رغم الامكانيات البسيطة المتوفرة لديها.

3.3. السجن محك الرجال

[21] . مصطفى رمضان، مرجع سابق، ص ص 233-239.

السجن يشكل تحديًا فارقًا في حياة الرجال، فهو ليس مجرد مكان للحجز، بل هو بيئة تختبر قوتهم وثباتهم النفسي. يفرض السجن تحديات متعددة على الرجال، منها العزلة الاجتماعية وفقدان الحرية، إلى جانب التعامل مع ظروف الحياة داخل الزنزانة والتحديات النفسية والعاطفية التي قد تنشأ من ذلك.

في ظل هذه الظروف الصعبة، يظهر الحقيقي من الرجال الذين يتمتعون بالقوة الداخلية والإرادة الصلبة، حيث يستمرون في مواجهة الصعاب والمحن، ويبقون صامدين في مواجهة تحديات السجن، مما يبرهن على صلابة شخصيتهم وعزمهم على تحمل المصاعب والظروف القاسية.

في سجون الاستعمار، تعرض الرجال لتحديات فريدة تنطوي على مزيج من القمع السياسي والاجتماعي. في مثل هذه السجون، يُجبر الرجال على مواجهة الظروف القاسية التي يفرضها القمع الاستعماري، والتي تشمل العزلة الاجتماعية والتعذيب والمضايقات المستمرة. ومع ذلك، فإن السجن في سياق الاستعمار شكل أيضًا منصة للصمود والتصدي للاضطهاد والظلم، حيث تحدى الرجال الاستعمار بقوة الإرادة والعزيمة، وأظهروا قدرتهم على التحمل والصمود رغم جميع التحديات التي واجهوها. إن مواجهة السجن في سياق الاضطهاد تبرز شجاعة وعزيمة الرجال في الدفاع عن حريتهم وكرامتهم، وتجسد رفضهم الثابت للاستعمار واستعادة هويتهم وحقوقهم الطبيعية.

مسار نضال المجاهد إبراهيم رمضان في سجن بربروس لم يكن مجرد صراع مادي، بل كانت معركة أخلاقية وروحية، حيث استخدم كل سلاحه من أجل دحر الظلم وبناء مجتمع أفضل. كان يعتبر سجنه فرصة للتعبير عن الحق والعدالة.

كانت حياة إبراهيم رمضان في السجون له محكا للتجارب وفَهْم طبائعَ النفوس فهو ابن الجنوب الجزائري الأصيلُ التقيُّ. في سجن البليدة وفي سجن بربروس، التقى مع جزائريين آخرين، واختلط بهم وعرفوا سلوكات بعضهم بعضا. فبهذا الاندماج الإنساني، فارق إبراهيم رمضان الخصوصية المحلية، وارتقى إلى الخصوصية الوطنية الجزائرية، وتعرَّف على رجال أفرزتهم ظروف اجتماعية مختلفة جمعتهم الثورة الجزائرية.

- **الخاتمة**

تمكنت جبهة التحرير الوطني من اختراق نظام السجون الفرنسية وتنظيمه، عندما بادرت إلى تأسيس لجان لليقظة الدائمة والتسيير ولجان للتعليم لرفع مستوى التعليم بين المعتقلين، وتأهيلهم للحياة بعد الاستقلال. هذه الجهود الثقافية والتعليمية داخل السجون أسهمت في تحفيز النضال وتنمية المعرفة.

كانت هذه اللجان داخل السجون تحمل رسالة الأمل والتضحية وتمسّك الثورة بمجاهديها وسجنائها والوقوف إلى جانبهم، وأثبتت أن الإرادة والعزيمة يمكن أن تتغلب على أي قيود أو انتهاكات.

وداخل سجن بربروس، لم يكن المجاهد إبراهيم رمضان يقتصر على مجرد الصمود ومقاومة الاستبداد الفرنسي، بل كان يعتبر ذلك فرصة لنشر العلم والتعليم، وتعزيز قيم الدين والثقافة بين رفاقه المساجين الجزائريين. وكان بلا هوادة، يقيم دروسا دينية ويعلم القرآن الكريم، مما جعله نقطة إشعاع للنور والعلم في بيئة الظلم والعتمة.

كانت تلك الدروس ليست مجرد مصدر للمعرفة، بل كانت تعبيرا عن إرادته الثابتة في ترسيخ بناء الهوية الثقافية والدينية لرفاقه، وتمكينهم من الصمود والثبات في وجه التحديات القاسية التي كانوا يواجهونها. بفضل هذا العطاء والتفاني، أصبحت زنزانات بربروس ليست مكانا للقهر وحده، بل كانت ساحة لنشر العلم والتعليم، ومصدرًا للأمل والتحدي في وجه الظلم والتعسف.

- **قائمة المراجع:**

1. الكتب

أحسن بومالي، **أدوات التجنيد والتعبئة الجماهرية أثناء الثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962)**، دار المعرفة، الجزائر، 2010.

بكلي عبد الرحمان، **مسيرة الإصلاح في جيل 1918-1948**، ط2، مكتبة البكري، غرداية (الجزائر)، 2004.

الهادي درواز، **الولاية السادسة التاريخية: تنظيم ووقائع (1954 – 1962)**، دار هومة، الجزائر، 2009.

حمو محمد عيسى النوري، **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، المجلد الأول، دار البعث، قسنطينة (الجزائر)، 1982.

يحي بوعزيز، **ثورات القرن العشرين**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

يوسف بن بكير الحاج سعيد، **تاريخ بني مزاب: دراسة اجتماعية و اقتصادية وسياسية**، ط2، المطبعة العربية، غرداية (الجزائر)، 2006.

مصطفى رمضان، **إبراهيم رمضان: رجل العلم والنضال**، دار نزهة الألباب للنشر والتوزيع، غرداية (الجزائر)، 2018.

عبد الكريم بوالصفصاف، **حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف (1954-1962)**، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، (د.ت،ن).

2. مقالات:

أحمد أولاد سعيد، "الأستاذ محمد بن عمر بوحميدة وجهوده الوطنية: رسالته من براقي إلى أهل غرداية أنموذجا"، **المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية**، المجلد 03، العدد 06، ديسمبر 2017.

محمد الطاهر عزوي، "دور ضباط الشؤون الأهلية في الحرب النفسية داخل المعتقلات أثناء الثورة التحريرية الكبرى"، **مجلة أول نوفمبر**، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، العددان 88 – 89، جانفي – فيفري 1988.

3. رسائل جامعية:

بكار دهمة، **النشاط الثوري في ناحية غرداية في مواجهة الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1956-1962)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة غرداية (الجزائر)، 2020/2019.

محمد بوسعدة، **دور مزاب في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة الجزائرية (1930 – 1962)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل م د) في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمة الأخضر، الوادي، 2020/2019.

4. تقارير:

الأمانة الولائية للمنظمة الوطنية للمجاهدين لولاية غرداية، **تقرير حول التنظيمات القاعدية للثورة التحريرية بولاية غرداية**، المقدم في ملتقى الولاية السادسة التاريخية المنعقد بغرداية، أيام 1و2و3 ديسمبر 1993.

الأمانة الولائية للمنظمة الوطنية للمجاهدين لولاية غرداية، **تقرير حول أحداث الثورة التحريرية بولاية غرداية للفترة ما بين 1959 و1962**، الندوة الولائية الثالثة، 09 أكتوبر 1986.

5. الأنترنيت:

وأج. سجن سركاجي بالعاصمة: معلم تاريخي شاهد على جرائم الاستعمار الفرنسي. نشر يوم الأحد 21 جوان 2020، متاح على الرابط: https://www.aps.dz/ar/regions/88550-2020-06-21-14-26-43

- **الملاحق:**

الملحق 1:

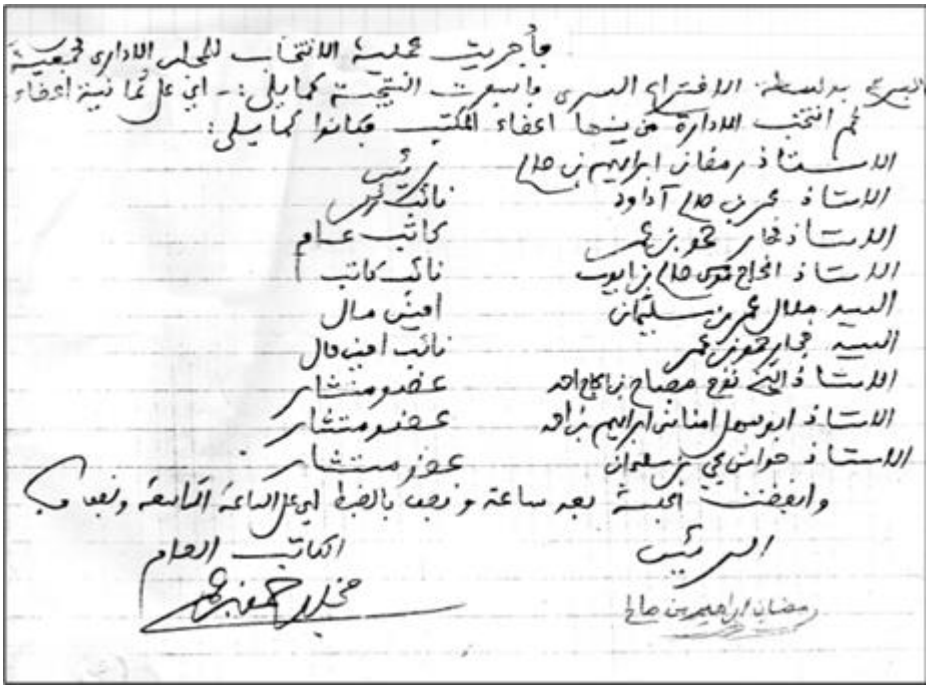

جرت انتخابات الانتخاب للمجلس الاداري لجمعية
السر بالسطة الافتتاح السري وباسفرت النتيجة كما يلي: - ابن على تمانية اعضاء
ثم انتخب الادارة من بينها اعضاء المكتب فكانوا كما يلي:

الاستاذ رمضان ابراهيم بن صالح	رئيس
الاستاذ عمر بن داد آداود	نائب رئيس
الاستاذ فخار محمد بن عمر	كاتب عام
الاستاذ الحاج مقران داد بزايت	نائب كاتب
السيد بلال عمر بن سليمان	امين مال
السيد فخار محمد بن عمر	نائب امين مال
الاستاذ داليخ نوح مصباح بن الحاج احمد	عضو مستشار
الاستاذ ابو سهل امانش ابراهيم بن احمد	عضو مستشار
الاستاذ حوانس يحي بن سعدان	عضو مستشار

وانفضت الجلسة بعد ساعة ونصف بالضبط اي على الساعة التاسعة ونصف ب

الكاتب العام

الرئيس

رمضان ابراهيم بن صالح

الأعضاء المنتخبون لإدارة فرع غرداية لجمعية قدماء الطلبة التي ترأسها إبراهيم رمضان كما تبرزه وثيقة محضر الجلسة التأسيسية

الملحق 2:

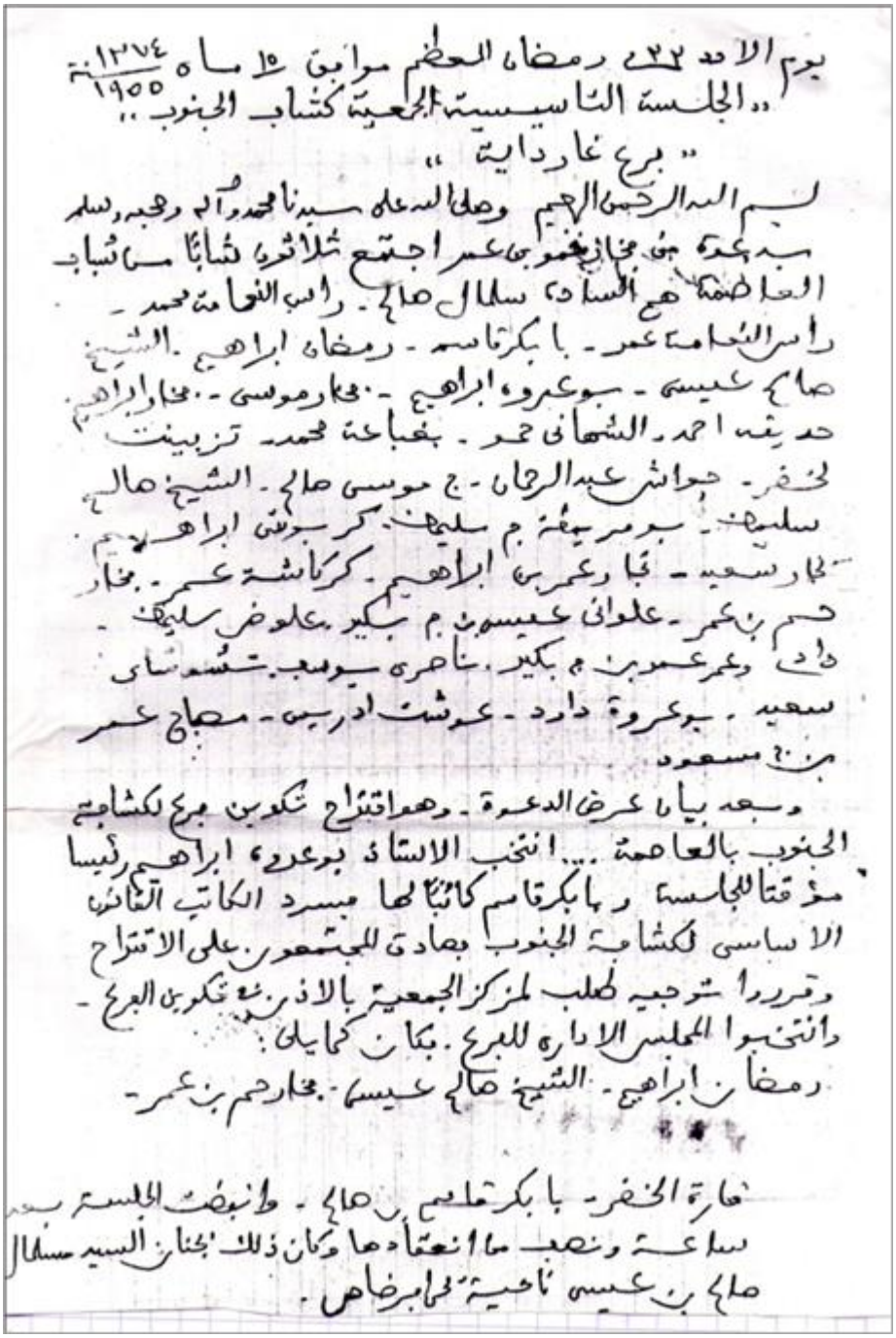

يوم الاحد ٢٢ رمضان المعظم موافق ١٥ ماه ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥
"الجلسة التاسيسية لجمعية كشاف الجنوب"
"برج غارداية"
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وبعد فقد اجتمع ثلاثون شابا من شباب العاصمة هم السادة سلطان صالح - راس الجماعة محمد - راس الجماعة عمر - بابكر قاسم - رمضان ابراهيم - الشيخ صالح عيسى - بوعروة ابراهيم - مختار موسى - مختار ابراهيم - حدبقة احمد - الشماني حمو - بغباغة محمد - تزبينت لخضر - حواش عبد الرحمان - ج موسى صالح - الشيخ صالح سليمان - بومريمة ج سليمان - كرسوتي ابراهيم - مختار سعيد - قبا وعمر بن ابراهيم - كرماشة عمر - مختار حمو بن عمر - علواني عيسى بن ج بكير - علوض سليمان - داود وعمر عمر بن ج بكير - ناصر - يوسف - تسمشاي سعيد - بوعروة داود - عرشت ادريس - مصباح عمر بن ج مسعود.

وبعد بيان عرض الدعوة - وهو اقتراح تكوين برج لكشافة الجنوب بالعاصمة .... انتخب الاستاذ بوعروة ابراهيم رئيسا مؤقتا للجلسة وبابكر قاسم كاتبا لها فسرد الكاتب القانون الاساسي لكشافة الجنوب فصادق المجتمعون على الاقتراح وقرروا توجيه طلب لمركز الجمعية بالاذن في تكوين البرج - وانتخبوا المجلس الاداري للبرج - بكان كما يلي:
رمضان ابراهيم - الشيخ صالح عيسى - مختار حمو بن عمر -

نائب الخضر - بابكر قاسم بن صالح - وانبثقت الجلسة بعد ساعة ونصف من انعقادها وكان ذلك بجناح السيد سلطان صالح بن عيسى ناحية محمد بن عرض.

محضر الجلسة التأسيسية لكشافة الجنوب - فرع غرداية

الملحق 3:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

في اواخر ايام شهر رمضان المعظم سنة ١٣٦٤هـ الموافق لشهر سبتمبر ١٩٤٥م تأسست بدار عمر دايه جمعية تألفت من بعض اعضاء الاصلاح المخلصين العاملين. غرضها، الجمعية اقامة دار جماعة تجتمعون فيها اعضاؤها للبحث والمداولة في حوادث البلد وما تقتضيه الاجتماعية والعمل على كل ما يكون به استظهار الجماعة بالقيام بواجبها وقد اجمعت جميع الاعضاء على هذه الفكرة واستحسنوها وتعاهدوا فيما بينهم ان يكون اساس عملهم حفظ السر والعمل المتواصل في الخفاء والكتمان حتى يتيسر الظهور وجلسات الجمعية تكون في بدء الامر سرية واذا امكن فيما بعد تكون علنية. وجلساتها تقع في منازل الاعضاء بالتناوب تكون لها دار خاصة لاجتماعها.

ولقد كانت جلساتها الاولى مشغولة بكيفية التأسيس. وبما ان جلساتها قررت ان يكون لها دفتر لتقييد فيه جلساتها ضبطا لنظام وتقييد المهام الامور والحوادث وللاعمال التي قامت بها لتكون من الضياع والنسيان وحيث ان الجلسات قد تعاقبت وتتابعت منذ تأسيسها ابتداء الكتابة كان من اللازم المحتم ان تذكر الاعمال التي قامت بها الجمعية اجمالا بدون تقييدها بعدد الجلسة ولا بتاريخها.

(١) وقع الانتخاب باسنت الرئاسة لرمضان ابراهيم ونيابة الرياسة لمصباح نوح وكان على ذكر الناصر، امين المال ونجار صالح نائبه ومدلل عمر كاتب. وبقية الاعضاء هم: بكر صالح، عدلان وعلي الحاج ابراهيم، الحاج موسى بشيشي، الحاج علي كركاشي، مصباح عمر ايمانسن بهون، بوبرتشان سليمان، مصباح الحاج مسعود، نجار محمد.

محضر تأسيس منظمة " الجندي المجهول "

الملحق 4:

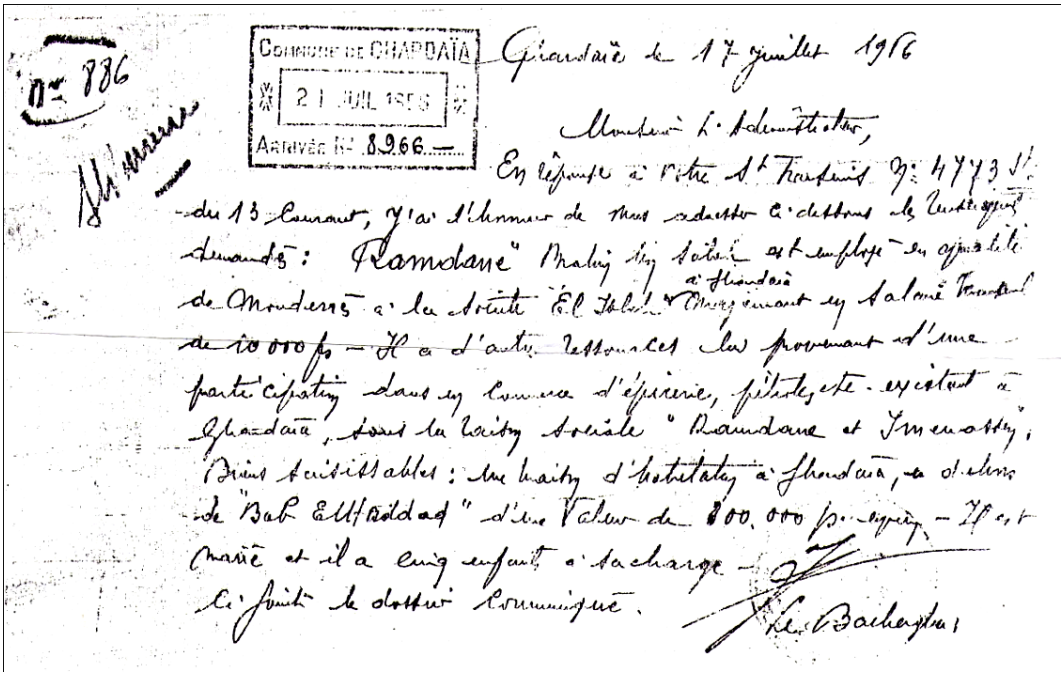

رسالة الباشاغا إلى الإدارة الاستعمارية تتضمّن معلومات عن إبراهيم رمضان جوابا على طلب السّلطات الاستعمارية

الملحق 5:

رسالة من قيادة ثورة التحرير إلى المجلس البلدي للثورة بغرداية برئاسة إبراهيم رمضان للتبليغ عن غبطة مسؤولي الثورة بالأعمال المنجزة والأمل بتحرير الوطن من الاستعمار. الرسالة موقّعة من طرف العريف الأول السياسي "الزوبير" بتاريخ 11 أوت 1959.

الملحق 6:

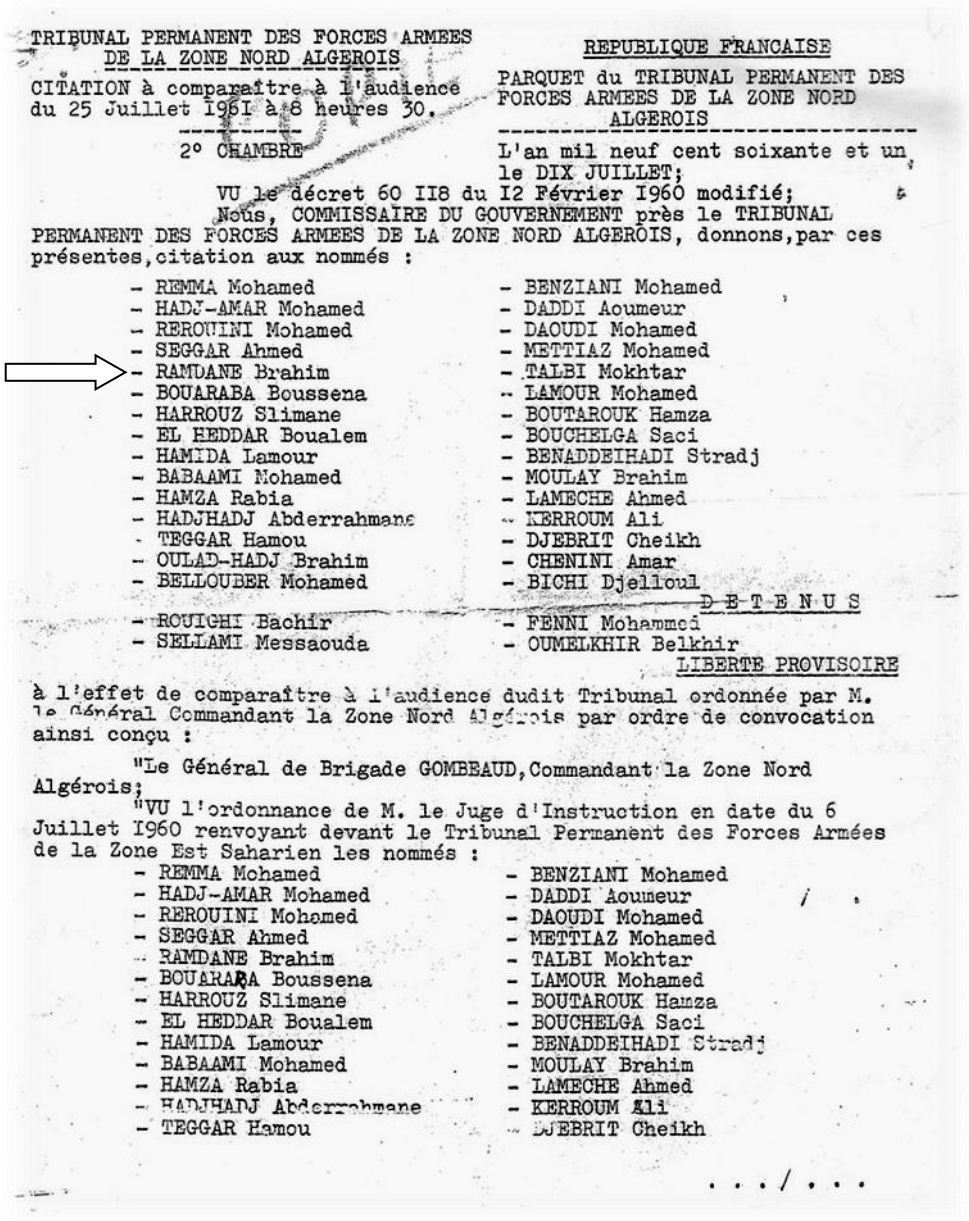

TRIBUNAL PERMANENT DES FORCES ARMEES
DE LA ZONE NORD ALGEROIS

CITATION à comparaître à l'audience du 25 Juillet 1961 à 8 heures 30.

2° CHAMBRE

REPUBLIQUE FRANCAISE

PARQUET du TRIBUNAL PERMANENT DES FORCES ARMEES DE LA ZONE NORD ALGEROIS

L'an mil neuf cent soixante et un, le DIX JUILLET;

VU le décret 60 II8 du I2 Février I960 modifié;

Nous, COMMISSAIRE DU GOUVERNEMENT près le TRIBUNAL PERMANENT DES FORCES ARMEES DE LA ZONE NORD ALGEROIS, donnons, par ces présentes, citation aux nommés :

- REMMA Mohamed
- HADJ-AMAR Mohamed
- REROUINI Mohamed
- SEGGAR Ahmed
- RAMDANE Brahim
- BOUARABA Boussena
- HARROUZ Slimane
- EL HEDDAR Boualem
- HAMIDA Lamour
- BABAAMI Mohamed
- HAMZA Rabia
- HADJHADJ Abderrahmane
- TEGGAR Hamou
- OULAD-HADJ Brahim
- BELLOUBER Mohamed
- BENZIANI Mohamed
- DADDI Aoumeur
- DAOUDI Mohamed
- METTIAZ Mohamed
- TALBI Mokhtar
- LAMOUR Mohamed
- BOUTAROUK Hamza
- BOUCHELGA Saci
- BENADDEIHADI Stradj
- MOULAY Brahim
- LAMECHE Ahmed
- KERROUM Ali
- DJEBRIT Cheikh
- BICHI Djelloul

D E T E N U S

- ROUIGHI Bachir
- SELLAMI Messaouda
- FENNI Mohammed
- OUMELKHIR Belkhir

LIBERTE PROVISOIRE

à l'effet de comparaître à l'audience dudit Tribunal ordonnée par M. le Général Commandant la Zone Nord Algérois par ordre de convocation ainsi conçu :

"Le Général de Brigade GOMBEAUD, Commandant la Zone Nord Algérois;

"VU l'ordonnance de M. le Juge d'Instruction en date du 6 Juillet I960 renvoyant devant le Tribunal Permanent des Forces Armées de la Zone Est Saharien les nommés :

- REMMA Mohamed
- HADJ-AMAR Mohamed
- REROUINI Mohamed
- SEGGAR Ahmed
- RAMDANE Brahim
- BOUARABA Boussena
- HARROUZ Slimane
- EL HEDDAR Boualem
- HAMIDA Lamour
- BABAAMI Mohamed
- HAMZA Rabia
- HADJHADJ Abderrahmane
- TEGGAR Hamou
- BENZIANI Mohamed
- DADDI Aoumeur
- DAOUDI Mohamed
- METTIAZ Mohamed
- TALBI Mokhtar
- LAMOUR Mohamed
- BOUTAROUK Hamza
- BOUCHELGA Saci
- BENADDEIHADI Stradj
- MOULAY Brahim
- LAMECHE Ahmed
- KERROUM Ali
- DJEBRIT Cheikh

. . . / . . .

قائمة أسماء المجاهدين المسجونين منهم إبراهيم رمضان الذين تمت محاكمتهم من طرف المحكمة الدائمة للقوّات المسلّحة الفرنسية التابعة لمنطقة الشمال الجزائري وتحويلهم إلى سجن بربروس.

- OULAD-HADJ Brahim
- BELLOUBER Mohamed
- CHENINI Amar
- BICHI Djelloul

DETENUS

- ROUIGHI Bachir
- SELLAMI Messaouda
- FENNI Mohammed
- OUMELKHIR Belkhir

LIBERTE PROVISOIRE;

accusés d'ATTEINTE A L'INTEGRITE DU TERRITOIRE NATIONAL.

"VU l'arrêt de la Cour de Cassation en date du 3 Mai I96I renvoyant l'affaire et les accusés devant le Tribunal Permanent des Forces Armées de la Zone Nord Algérois;

"VU l'article 49 du décret 60 II8 du I2 Février I960;

"ORDONNE que le Tribunal Permanent des Forces Armées de la Zone Nord Algérois, appelé à statuer sur les faits imputés aux susnommés, sera convoqué pour le 25 Juillet I96I à 8 heures 30.

"Fait au Quartier Général à S.P. 89.280/AFN,
le 6 Juillet I96I.
Signé : GOMBEAUD."

et de s'y entendre juger sur les faits de :

ATTEINTE A L'INTEGRITE DU TERRITOIRE NATIONAL : pour avoir, dans le courant des années I958, I959 et I960, en tout cas postérieurement au 30 Octobre I954, dans les régions de GHARDAIA et d'EL GOLEA, entrepris, en participant à l'activité clandestine en faveur de la rebellion, en fournissant des renseignements, des armes et du ravitaillement aux rebelles, de porter atteinte à l'intégrité du territoire national ou de soustraire à l'autorité de la France une partie des territoires sur lesquels cette autorité s'exerce.

Faits qui leur sont reprochés et qui sont prévus et punis par l'article 88 du Code Pénal ainsi conçu :

Art. 88 : Quiconque aura entrepris par quelque moyen que ce soit de porter atteinte à l'intégrité du territoire national ou de soustraire à l'autorité de la France une partie des territoires sur lesquels cette autorité s'exerce sera puni d'un emprisonnement de un à dix ans et d'une amende de 3.000 à 70.000 N.F. ..../.

Dont lecture textuelle leur a été donnée.

Les prévenons en outre :

I.- qu'ils doivent aviser d'urgence les défenseurs qu'ils ont choisi;

2.- que les témoins que nous assignons contre eux sont : NEANT;

3.- que M. le Président dudit Tribunal leur a désigné d'office, à chacun d'eux, un défenseur, les avertissant toutefois qu'ils pourront en choisir d'autres jusqu'au moment de l'ouverture des débats, mais que, sauf autorisation du Président, et en vertu de l'article 42 du décret 60 II8 du I2 Février I960, chacun d'eux ne pourra être assisté que par un seul Conseil.

Fait et clos au Parquet dudit Tribunal les jour, mois et an que dessus.

Le Commissaire du Gouvernement,
signé : NOUVEN.

Copie certifiée conforme.
Le Greffier,